



The Approach of Al-Abi in Refuting the Imamiyyah (Shia) Through His Commentary on Sahih Muslim Entitled "Ikmal Ikmal al-Mu'allim"

Akram Mohammed khalid Abdul Rahim*

Department of Islamic Studies, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University,
Al-bayda, Libya

منهج الأبي في الرد على الشيعة الإمامية من خلال شرحه لصحيح مسلم المسمى "إكمال
إكمال المعلم"

أكرم محمد خالد عبدالرحيم*

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا

*Corresponding author: albyakrmbwkhalid@gmail.com

Received: August 12, 2025

Accepted: November 11, 2025

Published: November 22, 2025

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (<https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>).

Abstract:

The study examines the methodology of the Maliki Imam Al-Ubayy (d. 828 AH) in refuting the doctrines of the Imami Shi'a through his commentary on Sahih Muslim, "Ikmal Ikmal al-Mu'allim." Al-Ubayy employed a precise critical method to challenge Shi'ite claims regarding the Caliphate and Imamate. He argued that the "Hadith al-Manzilah" confirms only a special virtue and temporary succession for Ali, not a general right to rule. Furthermore, he refuted the claims of a divine testament (wasīyah) for Ali, validating the succession of Abu Bakr based on the consensus and choice (Ijmā' wa Ikhtiyār) of the Companions. Al-Ubayy emphasized that the Shi'ite practice of excommunicating the Companions leads to the destruction of the foundational transmission of the Sharia and nullifies Islam itself.

Keywords: Imam Al-Ubayy, Commentary on Sahih Muslim, Shi'a, Imami.

المخلص:

تتناول الدراسة منهج الإمام الأبي المالكي في كتابه "إكمال إكمال المعلم" في الرد على الشيعة الإمامية، مظهرًا دور شرح الحديث كحامية للعقيدة السنية. وقد اعتمد الأبي أسلوبًا نقديًا لتفنيد دعاوى الشيعة في الخلافة، حيث بين أن "حديث المنزلة" لا يدل على الإمامة العامة بل على فضيلة خاصة واستخلاف مؤقت. كما دحض دعوى النص والوصية لعلي، مؤكدًا أن نفي الوصية في الأحاديث يعني نفي الوصية بأمر الخلافة، واستشهد بمواقف علي الإيجابية تجاه الخلفاء كدليل قاطع، وفي المقابل، أثبت الأبي صحة خلافة أبي بكر الصديق بناءً على الإجماع والاختيار من الصحابة، مشددًا على أن تكفير الشيعة للصحابة يؤدي إلى هدم أساس نقل الشريعة وإبطال الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الإمام الأبي، شرح صحيح مسلم، الشيعة، الإمامية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن القرن التاسع يُعدُّ الهجري فترة حاسمة في تاريخ الفكر الإسلامي، حيث شهد نشاطاً علمياً مكثفاً في مختلف المذاهب، بما في ذلك المذهب المالكي الذي كان له انتشار واسع في شمال إفريقيا والأندلس. وفي خضم هذا التفاعل، برزت جهود

العلماء السنة في الرد على الفرق المخالفة، وعلى رأسها فرق الشيعة الإمامية، التي كانت تتخذ مواقف مُعارضة لجمهور الصحابة والسلف في قضايا أساسية مثل الإمامة والخلافة، وتأويل النصوص الشرعية.

ويعتبر الإمام محمد بن خليفة الوشتاني الأبي (ت 828 هـ)، بشرحه الموسوم "إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم" على صحيح مسلم، أحد أبرز علماء المالكية في تلك الفترة الذين قاموا بدور فعال في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، خاصة فيما يتعلق بمسائل الخلافة والوصية ودم الغلو، ويتناول هذا البحث دراسة منهج الإمام الأبي في الرد على دعاوى الشيعة الإمامية من خلال شروحه على صحيح مسلم، وبيان الأثر العلمي لهذه الجهود في تثبيت العقيدة السنية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في النقاط التالية:

1. يسلط الضوء على فترة زمنية مهمة (القرن التاسع الهجري) في تاريخ الردود والمناظرات العقدية، ويكشف عن عمق التحديات الفكرية التي واجهت أهل السنة.
2. يُبرز دور الشروح الحديثية والمدرسة المالكية في الدفاع عن العقيدة، ويوضح المنهج النقدي للعلماء المالكية في تنفيذ حجج المخالفين.
3. يُقدم الإمام الأبي نموذجاً لـ "الرد العلمي" المعتمد على النصوص الصحيحة (كصحيح مسلم) والمقارنة بين المذاهب، وهو ما يفيد الباحثين المعاصرين في دراسة الفرق والمذاهب.
4. يُعطي هذا البحث الإمام الأبي حقه في إبراز جهوده العلمية والعقدية التي قد تكون مغمورة في خضم الشهرة الواسعة لشروح أخرى.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. استقراء وتوثيق المواضع التي رد فيها الإمام الأبي على الشيعة الإمامية في كتابه "إكمال إكمال المعلم".
2. تحليل وتقييم المنهج العلمي الذي اعتمده الأبي في الرد، سواء كان منهجاً حديثياً، أو فقهياً، أو عقدياً.
3. بيان وتفنيد أبرز دعاوى الشيعة الإمامية التي ركز الأبي على نقضها (كالنص والوصية بالخلافة، الإمامة، الغلو في علي).
4. تحديد مدى تأثير الأبي بجهود من سبقه من علماء المالكية وغيرهم في هذا الباب.
5. الوصول إلى نتائج تلخص أهمية جهود علماء المالكية في القرن التاسع الهجري في صيانة العقيدة السنية.

منهج البحث:

سيتمتع البحث على المنهجية التالية:

المنهج الاستقرائي: لتتبع واستخراج جميع النصوص التي أوردها الإمام الأبي في الرد على الشيعة الإمامية والروافض ضمن كتابه "إكمال إكمال المعلم".

المنهج التحليلي النقدي: لتحليل نصوص الأبي وبيان قوة حججه ونقده لأدلة الخصوم، وتقييم مصادره.

خطة البحث:

سيتم تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحث وخاتمة، على النحو التالي:

الإطار التمهيدي للدراسة: التعريف بالإمام الأبي وكتابه "إكمال إكمال المعلم" وبالشيعة الإمامية:

المطلب الأول: التعريف بالإمام الأبي.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "إكمال الإكمال".

المطلب الثالث: التعريف بالشيعة الإمامية.

المبحث العملي: منهج الأبي في الرد على الشيعة الإمامية في قضايا الخلافة والإمامة

المطلب الأول: التنفيذ النقدي لاستدلالات الشيعة: (دراسة أسلوب الأبي في نقد "حديث المنزلة" وغيره، والرد على تكفير الشيعة للصحابة)

المطلب الثاني: دحض دعاوى النص والوصية لعلي بالخلافة: (تحليل رد الأبي على مفهوم الوصية (حديث "لم يوص")، والاستدلال بمواقف على من عمر كدليل على بطلان الدعاوى الشيعية).

المطلب الثالث: تأصيل خلافة أبي بكر الصديق: (إثبات الأبي لصحة الخلافة بالاعتماد على الإجماع والاختيار).

الخاتمة

أبرز نتائج البحث.

أهم التوصيات والمقترحات.

الإطار التمهيدي للدراسة: التعريف بالإمام الأبي وكتابه "إكمال إكمال المعلم" وبالشيعة الإمامية:

يسعى هذا المبحث إلى تقديم دراسة وافية للإمام الأبي وكتابه "إكمال إكمال المعلم". يتناول البحث في البداية السيرة الذاتية للإمام الأبي ومنهجه العلمي. ثم ينتقل لدراسة كتابه الذي يُعد من أهم شروح صحيح مسلم، مُسلطاً الضوء على أهمية الشرح، ومنهجه المتبع فيه، والمصادر التي اعتمد عليها.

المطلب الأول: التعريف بالإمام الأبي:

اسمه ونسبه، وعصره، وشيوخه، وتلاميذه:

هو أبو عبد الله محمد بن خلف بن عمر التونسي الوشتاتي الأبي. على الرغم من اختلاف المصادر في ذكر اسم والد الإمام الأبي (بين "خلف" و"خلف" و"خليفة")، فإن الراجح هو "خلف" (1). الأبي: يُنسب إلى "أبي"، وهي قرية تقع في الشمال الغربي من تونس (2). وُصفت بأنها مدينة إفريقية تبعد عن القيروان ثلاثة أيام، وتتميز بكثرة فواكهها وإنبات الزعفران (3). الوشتاتي: يُنسب إلى قبيلة "وشتاتة" البربرية التي تستوطن تونس (4). التونسي: يُنسب إلى مدينة تونس، حيث استقر فيها وطلب العلم وتلقاه (5).

ولد الإمام الأبي وعاش في عصر الدولة الحفصية التي قامت في تونس عقب زوال دولة الموحدين (6). وتميز هذا العصر بكونه فترة نهضة علمية وثقافية؛ حيث أولى الحفصيون اهتمامًا كبيرًا بالعلوم، سواء كانت دينية أو عقلية، وعملوا على تأسيس المدارس والمكتبات، مما خلق بيئة خصبة للتعلم والازدهار الفكري (7).

وقد قدم الأبي إلى مدينة تونس في سن مبكرة، واستقر فيها، متخذًا من مدرستي الشماعية (8) والتوفيق (9) مركزًا له لتلقي العلم. وقد تأسست مدرسة الشماعية على يد أبي زكريا ابن عبد الواحد بن أبي حفص عام 633 هـ، وسُميت بذلك لموقعها في سوق الشماعين. أما مدرسة التوفيق فقد أسستها الأميرة عطف، زوجة أبي زكريا يحيى الأول، وخصصت لها أوقافًا واسعة لإقامة الدروس.

ودرس الأبي على يد نخبة من علماء عصره، وكان أبرزهم الإمام ابن عرفة، الذي لازمه وأخذ عنه العلم حتى أصبح من أبرز تلاميذه. لما كان للأبي من مكانة علمية، فقد تولى رئاسة العلوم الشرعية بعد وفاة شيخه الإمام ابن عرفة. ودرس على يد علماء عصره (10)، وأشارت المصادر إلى أن الإمام الأبي قرأ على عدد من علماء تونس وغيرهم (11)، ومن أبرزهم:

1. **محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت 803 هـ):** يُعد أبرز شيوخه وأكثرهم تأثيرًا فيه. كان الإمام ابن عرفة شيخًا للعلماء والفتوى في المذهب المالكي، وبارعًا في الأصول، والفروع، والعربية، والمعاني، والبيان، والقراءات، والفرائض، والحساب، وقد انقطع ابن عرفة للاشتغال بالعلم والتدريس بجامع الزيتونة، وله مؤلفات هامة مثل "تقييده" الكبير في المذهب و"تفسيره" للقرآن العظيم (12). لازمه الأبي وأخذ عنه العلم حتى أصبح من تلمذائه والمقربين إليه، وتولى رئاسة العلوم الشرعية من بعده (13).

2. **أبو بكر بن الحسين المراغي (ت 816 هـ):** هو زين الدين، الشافعي، نزيل المدينة المنورة. وقد أجاز الأبي بمروياته، أي: سمح له برواية ما سمعه من أحاديث وعلوم. عُرف المراغي بكونه من علماء الحديث والتاريخ، وله مؤلفات منها تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة في تاريخ المدينة (14).

3. **أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن إسماعيل،** المعروف بابن الرسام، هو شيخ إمام فاضل توفي سنة 841 هـ. كان ابن الرسام صاحب مناصب قضائية رفيعة؛ حيث تولى منصب قاضي القضاة في حماة ثم ولي قضاء حلب، وقد زار الشام والقاهرة مرارًا. من مؤلفاته المعروفة: تحفة العابد في فضل بناء المساجد، وكتاب تنبيه الغافلين الحيارى على ما ورد من النهي عن التشبه بالنصارى. وقد سمع منه الأبي الحديث، وهو ما يُشير إلى استفادة الأبي منه في مجال الرواية والسنة النبوية (15).

(1) نظم العقيان في أعيان الأعيان 177/1، والتقييد الكبير للبيسلي 552/1، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 182/11 نيل الابتهاج بتطريز الديباج 487/1 الأعلام للزركلي 115/6 التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 302/1 تبصير المنتبه بتحرير المشتبه 31/1 الحاوي للفتاوي للسيوطي 252/2 شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351/1 قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات 116/1 سلم الوصول إلى طبقات الفحول 137/3.

(2) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع 169/2. وتراجم المؤلفين التونسيين 37/1، 82/2. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 302/1 موسوعة الأعلام - الأوقاف المصرية 2/1.

(3) معجم البلدان، الحموي 85/1.

(4) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 91/6، وتراجم المؤلفين التونسيين 37/1، 82/2. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 302/1.

(5) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه 31/1.

(6) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين 140/14.

(7) موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي 111/6.

(8) ينظر: مقدمة نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد 45/1، والموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي مجموعة من المؤلفين 111/6. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 303/1.

(9) مقدمة نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد 46/1، وتراجم المؤلفين التونسيين 37/1.

(10) التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 303/1 تراجم المؤلفين التونسيين 38/1.

(11) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351/1، ولوامع الدرر في هنك أستاذ المختصر 177/1. موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين 25/1/11.

(12) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب 331/2، والوفيات لابن قنفذ 379/1، وذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد 236/1، وبغية الوعاة 229/1، ودرة الحجال في أسماء الرجال 280/2، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج 463/1.

(13) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351/1، ولوامع الدرر في هنك أستاذ المختصر 177/1. موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين 25/1/11.

(14) التحفة الطييفة في تاريخ المدينة الشريفة 340/8 الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 28/11 الدر المنظوم من كلام المصطفى المعصوم 64/1 كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 378/1.

(15) المقصد الارشد 80/1 الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 249/1 شذرات الذهب في أخبار من ذهب 367/9 هدية العارفين 126/1.

وقد أخذ عن الإمام الأبي عدد من العلماء البارزين الذين كان لهم تأثير كبير في مجالات الفقه والحديث والتفسير والعلوم العقلية، ومن أهمهم:

1. ابن كُحَيْل (ت. 869 هـ): كان عالماً مالكيًا تونسيًا، تخصص في العلوم العقلية، حيث أخذ عن الأبي علوم المنطق والكلام. من أبرز مؤلفاته "المقدمات" في الفقه و"عون السائرين" في التصوف (16).
2. ابن ناجي (ت. 838 هـ): هو فقيه وحافظ مالكي من القيروان، جمع علمه من شيخ الأبي ابن عرفة ومن الإمام الأبي نفسه. له شروح مهمة على رسالة ابن أبي زيد القيرواني والمدونة، مما يدل على تمكنه في فقه المالكية (17).
3. الثعالبي المفسر (ت. 876 هـ): يُعد إمامًا مالكيًا ومفسرًا شهيرًا، وأبرز مؤلفاته تفسير "الجواهر الحسان في تفسير القرآن". قرأ على الإمام الأبي متونًا أساسية في علوم السنة والفقه، منها صحيح مسلم والمدونة، وغيرها من المتون العلمية (18).
4. عمر القلشاني (ت. 847 هـ): كان إمامًا وحافظًا بارزًا، متميزًا في الفقه والأصول والمنطق. له شروح على مختصر ابن الحاجب ورسالة "دقائق الفهم". تولى مناصب دينية مرموقة كالقضاء وخطبة جامع الزيتونة في تونس (19).
5. يحيى العجيسي (ت. 862 هـ): نشأ في بجاية (الجزائر حاليًا)، ودرس في تونس على يد كل من ابن عرفة والأبي. برع في علوم متعددة، وانتقل لاحقًا إلى القاهرة حيث اشتغل بالتدريس والتأليف. من مؤلفاته المعروفة شرح على ألفية ابن مالك في النحو (20).

ثناء العلماء، ومذهبه، ومؤلفاته، ووفاته:

حظي الإمام الأبي بتقدير عالٍ وثناء كبير من معاصريه والعلماء الذين جاءوا من بعده، مما يدل على مكانته الرفيعة في العلم، خاصة في العلوم العقلية والأصول والحديث:

1. شيخه ابن عرفة: مَيَّز الأبي بحدة الفهم وقوة العقل، فقال عنه: "كيف أنام وأبا بين أسدين: الأبي بفهمه وعقله، والبرزلي (21) بحفظه ونقله" (22).
2. الحافظ ابن حجر العسقلاني: وصفه بـ"الأصولي، عالم المغرب بالمعقول" (23)، وهذا تأكيد على براعته في علم أصول الفقه والعلوم العقلية (المنطق والكلام).
3. والإمام التتبيكي: وصفه بعبارات جامعة للمحاسن العلمية، فقال: "الإمام العلامة المحقق المدقق البارع الحافظ الحاج الرحلة" (24).
4. الإمام الشوكاني: وصفه بأنه "كانَ عالماً محققاً..." (25)، مما يؤكد منزلته في تحقيق المسائل العلمية والتدقيق فيها.

مذهبه:

كان على المذهب المالكي (26)، لكنه لم يتردد في عرض آراء المذاهب الأخرى وترجيحها إذا كانت أقوى دليلاً، مثل ترجيحه وجوب الوضوء من أكل لحم الإبل، مخالفاً بذلك رأي الجمهور (27).

وللأبي عدة مؤلفات، منها:

- أنجز الإمام الأبي عدة مؤلفات تعكس عمق علمه في الفقه والتفسير والعلوم الشرعية، إضافة إلى توليه مناصب علمية وقضائية رفيعة، فمن مؤلفاته:
- تفسير القرآن العظيم: هذا الكتاب هو في الأصل تقييد لمجالس تفسير شيخه ابن عرفة، ويُعد أكمل الروايات وأدقها لتفسير شيخه (28).
- شرح المدونة: هو شرح لكتاب "مدونة سحنون" (29)، لكن لم يُعثر على أي نسخة من هذا الشرح حتى الآن.
- شرح مختصر ابن الحاجب الفقه (30): أيضاً، هذا الشرح على أحد أهم متون الفقه المالكي لم يُعثر عليه.

-
- (16) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 137/2 نيل الابتهاج بتطريز الديباج 126/1 الأعلام للزركلي 230/1 معجم المؤلفين 123/2.
 - (17) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 364/1، 488/1 وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية 352/1، وتراجم المؤلفين التونسيين 14/5.
 - (18) نيل الابتهاج بتطريز الديباج.
 - (19) ثبت أبي جعفر أحمد بن علي أبو جعفر البلوي 312/1. إيضاح المكنون، الباباني 475/3، وهدية العارفين، الباباني 793/1. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 137/6، ومسامرات الطريف بحسن التعريف 37/1.
 - (20) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 232/10، ونظم العقيان في أعيان الأعيان 177/1، ومعجم أعلام الجزائر 230/1.
 - (21) البرزلي هو أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي البرزلي (ت. حوالي 841 هـ)، وهو أحد أئمة المالكية الكبار في بلاد المغرب ونزيل تونس، ووصف بشيخ الإسلام وصاحب الفتاوى. لازم شيخه الإمام ابن عرفة نحو أربعين عاماً. كان يضرب به المثل في قوة الحفظ والنقل، من أبرز مؤلفاته كتابه القيم: "جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام". الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 11 / 133، والأعلام للزركلي 172/5، وشجرة النور ص 245.
 - (22) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351/1، ولوامع الدرر في هنك أستاذ المختصر 177/1. موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين 25/1 / 11.
 - (23) تبصير المنتبه بتحرير المشته 31/1.
 - (24) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 487/1.
 - (25) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع 169/2.
 - (26) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 487/1.
 - (27) منهج الأبي في شرح صحيح مسلم وأوجه العلاقة بينه وبين أصله شرح المازري ص 315.
 - (28) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1، وتراجم المؤلفين التونسيين 39/1، والتفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 303/1، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة 2082/3.
 - (29) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 487/1.
 - (30) سلم الوصول إلى طبقات الفحول 137/3 شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351/1.

وتجلّت مكانة الإمام الأبي العلمية الرفيعة من خلال مسيرته المهنية التي عكست عمق علمه ونفوذه، حيث تولى العديد من المناصب الهامة؛ فقد تصدّر للتدريس في أبرز مدارس تونس، وتولى إمامة جامع التوفيق، كما مارس مهنة القضاء. وبلغ الأبي ذروة المناصب العلمية في عصره بوصوله إلى منصب الفتوى في تونس عام 808 هـ، والذي يُعد أعلى مرجع علمي وشرعي حينذاك(31).

وقد تُوفي الإمام الأبي في تونس. وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين في تحديد سنة وفاته(32)، فإن الراجح أنه توفي عام 828 هـ(33). وكانت وفاته في فترة حكم السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز، الذي عُرف بكونه ملكاً جليلاً وعادلاً، واستمر حكمه ما بين 796 هـ و 837 هـ(34).

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "إكمال الإكمال":

يُعد كتاب "إكمال إكمال المعلم" للإمام الأبي حلقة مهمة ضمن سلسلة الشروح المغربية لصحيح مسلم، التي بدأت بشرح المازري، ثم القاضي عياض(35).

"المُعلّم" للمازري و"إكماله" للقاضي عياض:

"المُعلّم بفوائد مُسلم" للمازري:

مؤلفه هو محمد بن علي التميمي المازري (ت 536 هـ)، وهو فقيه مالكي من صقلية(36)، ولم يكن شرحه في الأصل مقصوداً ككتاب متكامل، بل كان عبارة عن تعليقات وفوائد يملئها على طلابه في دروسه، لم يلتزم بترتيب الأحاديث، واقتصر على شرح الأحاديث التي رآها مهمة، مع التركيز على الأحكام الفقهية وتفسير غريب الألفاظ(37)، وقد وصفه ابن خلكان بأنه "شرح صحيح مسلم شرحاً جيداً"(38)، وقال ابن خلدون إنه "اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه"(39).

"إكمال المعلم" للقاضي عياض:

مؤلفه هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544 هـ)، وهو أحد أئمة الحديث(40)، ألف كتابه استكمالاً لشرح المازري(41)، مضيفاً ما رآه ناقصاً ومفصلاً ما أجمله المازري، وقد اهتم بشرح مقدمة صحيح مسلم، ووضع ترجمة للإمام مسلم. اعتمد على مصادر عديدة مثل التمهيد لابن عبد البر ومعالم السنن للخطابي، وتجنب الإطالة حيثما كان شرح المازري كافياً(42).

إكمال إكمال المعلم" للإمام الأبي:

اشتهر الكتاب باسم "إكمال إكمال المعلم" ونُسب إلى الإمام الأبي بالإجماع من قبل علماء كالسخاوي(43) وحاجي خليفة(44). ومحمد مخلوف(45)، وعمر كحالة(46)، وقد سَمّى الأبي كتابه بنفسه في مقدمته بهذا(47) الاسم. وتكمن أهمية كتاب "إكمال إكمال المعلم" للإمام الأبي في النقاط التالية:

1. الكتاب هو شرح وافٍ لصحيح مسلم، الذي يُعد ثاني أصح كتب السنة، كما أنه مرجع غني في الفقه المالكي، متجاوزاً مجرد الشرح الحديثي(48).
2. يتميز بأنه جامع لأقوال الشراح الأربعة الكبار: المازري، وعياض، والقرطبي، والنووي، مع إثراء ذلك بأراء الأبي وتحقيقاته الخاصة، واستفادته من علم شيخه ابن عرفة(49).
3. لا يقتصر الكتاب على كونه شرحاً للحديث فقط، بل يمكن اعتباره مرجعاً في الفقه، خاصة في مذهب الإمام مالك(50).
4. أن الإمام الأبي كان يتمتع بمعرفة واسعة في العديد من العلوم الشرعية، فلم يقتصر علمه على فن واحد، بل كان متمكناً في عدة فنون من فنون العلم الشرعي(51).

(31) التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 303/1 تراجم المؤلفين التونسيين 38/1

(32) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1

(33) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1، والبدور الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع 169/2، وديوان الإسلام 73/1 وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351/1، ومعجم المؤلفين 2/9

(34) نيل الأمل في ذيل الدول المملوكي، 359/4، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول 137/3

(35) منهج الإمام محمد بن يوسف السنوسي في عرض علمي الحديث واللغة من خلال كتابه "مكمل إكمال الإكمال" ص 200، و 202.

(36) تاريخ الإسلام 661 / 11، والوافي بالوفيات 4 / 110.

(37) إكمال المعلم بفوائد مسلم 72/1. التكملة لكتاب الصلة 312/2 مقارنة بين شروح كتب السنة السنة 2/3

(38) وفيات الأعيان 285/4

(39) تاريخ ابن خلدون 560/1

(40) بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس 437/1، وتهذيب الأسماء واللغات 43/2، وسير أعلام النبلاء 215/20، طبقات علماء الحديث 80/4

(41) سير أعلام النبلاء 215/20، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 555/1

(42) مقارنة بين شروح كتب السنة السنة 6/3، وإكمال المعلم بفوائد مسلم 35/1، والمعلم بفوائد مسلم 202/1.

(43) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 487/1

(44) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 555/1

(45) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351 / 1

(46) معجم المؤلفين 287 / 9

(47) مقارنة بين شروح كتب السنة السنة 10/3

(48) منهج الأبي في شرح صحيح مسلم وأوجه العلاقة بينه وبين أصله شرح المازري ص 302.

(49) التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 303/1، تراجم المؤلفين التونسيين 38/1 مقارنة بين شروح كتب السنة السنة 10/3.

(50) منهج الأبي في شرح صحيح مسلم وأوجه العلاقة بينه وبين أصله شرح المازري ص 303.

(51) منهج الأبي في شرح صحيح مسلم وأوجه العلاقة بينه وبين أصله شرح المازري ص 302.

قال القسطنطيني-عن شرح الأبّي:- " هو خزانة علم ينفق منه الفقير كيف يشاء من نحو وتصريف وأصول وفروع وكلام ومصطلح وميزان، وتاريخ ومعان وبيان وحقائق وإشارات ومناقب ورقائق ومواعظ وقواعد إلى غير ذلك"(52). وقد حظي كتاب "إكمال إكمال المعلم" بتقدير بالغ وثناء كبير من كبار العلماء، مما يؤكد على جودته العلمية ومنزلته بين شروح الحديث(53):

السّخاوي: أشاد بمنهج الأبّي الجامع، قائلاً: "جمع فيه بين المازري وعبّاض والقرطبي والنووي مع زيادات مفيدة..."(54). التنبكتي: وصف الشرح بـ"في غاية الجودة ملأه بتحقيقات بارعة وزيادة حسنة نافعة"(55).

السنوسي: أكد على تميزه في الجمع والشمول، قائلاً: "من أحسن شروح صحيح مسلم وأجمعها"(56). قال القسطنطيني: "وشرحه يغني عن شروحهم الأربعة ولا تغني عن شرحه لما فيه من الأبحاث الراققة، والتحقيقات الفائقة..."(57).

ولأهمية الكتاب فقد قام أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي الحسيني المتوفى سنة (895 هـ-1490م)(58)، وقد اختصره في كتاب اسمه: "مكمل إكمال الإكمال"، يقول السنوسي: "... وكان من أحسن شروح صحيح مسلم فيما علمت وأجمعها شرح الشيخ العلامة أبي عبد الله الأبّي، ... فاختصرت في هذا التقييد المبارك معظم ما في هذا الشرح الجامع من الفوائد. وضممت إليه كثيراً مما أغفله مما هو كالضروري لا كالرائد وأكملته أيضاً بشرح الخطبة ... فتم النفع -والحمد لله تعالى- بشرح جميع ما في الكتاب، وجاء بفضل الله تعالى مختصراً يقتنع أو يغني عن جميع الشروح، وما فيها من تطويل أو مزيد إطناب، فهو جدير -إن شاء الله تعالى- أن يسمى لذلك بمكمل إكمال الإكمال"(59).

المطلب الثالث: التعريف بالشريعة الإمامية:

الشريعة الإمامية هم الذين قالوا بوجوب الإمامة بالنص الإلهي والوصية من الإمام السابق، وأنها لا تكون بالاختيار أو الشورى. يرون أن الإمامة أصل من أصول الدين، وأن الإمام يجب أن يكون معصوماً من الخطأ والزلل، وأنه المرجع الأعلى في الدين والدنيا بعد النبي ﷺ. وقد تفرعت عنهم فرق متعددة، لكن أهمها وأكثرها بقاءً إلى اليوم هما فرقة الإثنا عشرية وفرقة الإسماعيلية(60).

أما فرقة الإمامية الإثنا عشرية، وتسمى أيضاً الجعفرية، فقد اعتقدت بوجود اثني عشر إماماً منصوباً عليهم واحداً بعد الآخر، ابتداءً من علي بن أبي طالب وانتهاءً بمحمد بن الحسن المهدي المنتظر الذي يعتقدون أنه غاب وسيعود في آخر الزمان. ترتيب الأئمة عندهم هو: علي بن أبي طالب، ثم الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد الباقر، ثم جعفر الصادق، ثم موسى الكاظم، ثم علي الرضا، ثم محمد الجواد، ثم علي الهادي، ثم الحسن العسكري، وأخيراً محمد بن الحسن المهدي(61).

وأما فرقة الإسماعيلية، فقد انشقت بعد وفاة الإمام جعفر الصادق، حيث قالت بإمامة ابنه إسماعيل الذي توفي في حياة أبيه، أو بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل، بينما الإثنا عشرية قالت بإمامة موسى الكاظم. ومن هنا سميت هذه الفرقة بالإسماعيلية. ترتيب الأئمة عندهم يبدأ من علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي زين العابدين، ثم محمد الباقر، ثم جعفر الصادق، وبعده إسماعيل أو ابنه محمد بن إسماعيل، ثم استمرت الإمامة في ذريته حتى قيام الدولة الفاطمية التي حكمت في شمال أفريقيا ومصر(62).

وبذلك يظهر أن أصل القول بالإمامة والعصمة مشترك بين الإمامية الإثني عشرية والإسماعيلية، لكنهما يختلفان في تسلسل الأئمة بعد جعفر الصادق، حيث توقفت الإسماعيلية عند إسماعيل أو ابنه محمد، بينما استمرت الإثنا عشرية حتى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر(63).

المبحث العملي: منهج الأبّي في الرد على الشيعة الإمامية في قضايا الخلافة والإمامة:

إن منهج الإمام الأبّي في الرد على الشيعة الإمامية والرافضة في قضايا الخلافة والإمامة يقوم على التفسير المنهجي للنصوص الحديثية، ومقارعة أدلتهم بما ثبت من إجماع الصحابة والسنة النبوية، مع تبيان فساد استدلالاتهم في تأويل الأحاديث.

(52) تراجع المؤلفين التونسيين 38/1

(53) تراجع المؤلفين التونسيين 38/1

(54) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 487/1

(55) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1

(56) مكمل الإكمال 24/1

(57) تراجع المؤلفين التونسيين 38/1

(58) الإمام محمد بن يوسف السنوسي (أبو عبد الله) هو عالم تلمسان وصالحها في عصره، وهو من العلماء الحسينيين الذين اشتهروا بكثرة تصانيفهم في علوم الحديث والعقيدة؛ حيث ألف في الحديث كتاب "مكمل إكمال الإكمال" لاستكمال شرح الأبّي على صحيح مسلم، وله في العقيدة مؤلفات شهيرة مثل "عقيدة أهل التوحيد" (الكبرى) و"أم البراهين" (الصغرى). ثبت أبي جعفر أحمد بن علي 436/1، معجم أعلام الجزائر 180/1، والأعلام للزركلي 154/7.

(59) مكمل الإكمال 24/1

(60) الشهرستاني، الملل والنحل، 146/1

(61) أوائل المقالات، المفيد، ص39

(62) فرق الشيعة، النوبختي، ص57

(63) الشهرستاني، الملل والنحل، 148/1

المطلب الأول: التنفيذ النقدي لاستدلالات الشيعة: (دراسة أسلوب الأبي في نقد "حديث المنزلة" وغيره، والرد على تكفير الشيعة للصحابه)

حيث قال الإمام الأبي في شرحه حديث المنزلة: "قوله: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟" احتجت به الإمامية والروافض وسائر فرق الشيعة على أن الإمامة حق لعلي بعده، وأنه صلى الله عليه وسلم استخلفه بهذا اللفظ وشبهه على جميع الأمة بعده. ثم اختلفوا فكفر بعضهم سائر الصحابة لتركهم الحق وتقديمهم غيره، وكفر بعضهم علياً إذ لم يطلب حقه. ومذهب هؤلاء أسخف من أن يرد عليهم، ولا خفاء بكفر القائلين بهذا القول، لأن من كفر كل الأمة والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام. وأما غير هؤلاء فلا نكفرهم، بل اختلفوا بالإمامية وبعض المعتزلة يخطئهم، وبعض المعتزلة لا يخطئهم لأنه يجوز تقديم المفضل على الفاضل. ولا حجة في الحديث لأحد منهم لأنه لم يستخلفه عموماً بل على المدينة خاصة عند سفره لتبوك، كما استخلف موسى هارون الذي شبه به عند سفره إلى المناجاة بقوله: "اخلفني في قومي". فلما رجع منها رجع هارون إلى حالته الأولى، وكذلك علي. فالمعنى: أنت خليفتي على المدينة عند سفري كما كان هارون خليفة عن موسى عند سفره. واستثنى من ذلك النبوة لأن هارون كان نبياً، ومعنى: "لا نبي بعدي" أي بعد بعثتي. وفي طي ذلك تنبيه على ما اقترفته الرافضة من نبوة علي حتى أطرى بعضهم إلى أن ادعى أنه الله تعالى الله عن ذلك. وقد أحرقت على رضي الله عنه بعض من قال ذلك، فافتتن بذلك جماعة وقالوا: الآن تحققنا أنه الله تعالى لأنه لا يعذب بالنار إلا الله تعالى. وما دل عليه الحديث من فضل علي لا يحط من منزلة غيره. قلت: قال ابن العربي: إنما قال له صلى الله عليه وسلم ذلك تأنيباً وبياناً لفضله حتى قال أهل النفاق: إنما خلفه كراهية فيه. قال: فإن قيل إن هارون أفضل الناس بعد موسى فكذلك يكون علي، أجيب بأن هارون إنما فضل على الناس لأنه كان رسولاً (64).

ويقر الأبي في البداية بأن الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة وبعض المعتزلة؛ في أن الخلافة كانت حقاً لعلي، واستخلاف النبي صلى الله عليه وسلم له لذلك بهذا الحديث وأشباهه مما احتجوا به، ثم ينتقل إلى نقد الاستدلال، يعتمد الإمام الأبي أسلوباً نقدياً دقيقاً لتنفيذ استدلال الشيعة بـ "حديث المنزلة" ("أنت مني بمنزلة هارون من موسى..."). حيث يقرر أن الحديث فضيلة خاصة لعلي وليست نصاً على وجوب الخلافة العامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، يوضح الأبي أن الاستخلاف كان مؤقتاً وخاصاً بالمدينة المنورة أثناء غزوة تبوك، تماماً كما استخلف موسى هارون وقت سفره للمناجاة، ولم يكن استخلاًفاً عاماً للأمة. كما أنه استثنى النبوة لأن هارون كان نبياً، مما يؤكد محدودية التشبيه، وينتقد الأبي بشدة فرق الشيعة الذين كفروا الصحابة لتركهم حق علي المزعوم، معتبراً مذهبهم أسخف من أن يُرد عليه؛ فتكفير الصدر الأول يبطل نقل الشريعة ويهدم الإسلام. ويؤكد أن ما دل عليه الحديث من فضل علي لا يُسقط من منزلة باقي الصحابة (65).

المطلب الثاني: دحض دعوى النص والوصية لعلي بالخلافة: (تحليل رد الأبي على مفهوم الوصية (حديث "لم يوص")، والاستدلال بمواقف علي من عمر كدليل على بطلان الدعاوى الشيعية).

يعتبر الأبي أن أهم سلاح في الرد على الشيعة هو نفي النص على الخلافة، وينطلق من تبيان المراد من "نفي الوصية" في بعض الأحاديث، واستدلاله بشهادة علي نفسه لنفي دعاوى التخصيص، ففي معرض شرحه لحديث نفي الوصية، يحدد الأبي المراد بالنفي: "وإنما أراد هنا نفي الوصية بالأمر بعده التي تدعيه الشيعة والروافض وهو الذي أنكرت عائشة - رضي الله عنها - في الحديث الآخر بقولها: «متى أوصى إليه؟»، قال الأبي: "قوله: هل أوصى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "لا؟" يعارض ما يأتي من أنه أوصى بالثلاث وعترته وبصدقة أرضه. والجواب أنه إنما يعنى الوصية بالخلافة التي تعنيها الشيعة، وهو الذي أنكرت عائشة في الآخر بقولها: 'متى أوصى؟' وإن كان السؤال عن الوصية بالمال، فإنه لم يوص بشيء فيه. ووصيته بكتاب الله وعترته ليس بمال، وكذلك وصيته بصدقة أرضه فإنها ليست بصدقة ولا وصية حقيقية، بل على حكم التركة. وإنما أخرجها صدقة بحكم الله بقوله: 'لا نورث ما تركناه صدقة'؛ ولأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له شيء بوصي فيه (66).

ويبين الأبي أن نفي الوصية الوارد في الحديث لا يتعارض مع وصايا النبي ﷺ بأمر أخرى (كإخراج المشركين وعترته)، بل يختص بنفي الوصية بـ "الأمر بعده"، أي الخلافة، وهي الدعوى الأساسية التي تتمسك بها الشيعة والرافضة، ويؤكد الأبي أن نفي الوصية بالخلافة هو ما فهمته عائشة رضي الله عنها.

يستخدم الأبي قول علي نفسه كحجة قاطعة لرد دعوى الوصية والأسرار الخاصة: "وقول علي: «ما كان النبي ﷺ يسر إلى شيء يكتمه عن الناس، وما خصنا بشيء يعم به الناس» وغضبه على من ذكر له غير هذا: فيه رد على الشيعة والإمامية والرافضة فيما تدعيه من الوصية إلى علي بالخلافة وبغير ذلك".

يستغل الأبي المواقف الإيجابية التي صدرت من علي بن أبي طالب تجاه عمر كدليل على بطلان دعاوى الشيعة والرافضة التي تنهم علياً بالكراهية، حيث يُسجل الأبي واقعة ترحم علي على عمر عند موته: "وقوله في عمر: «وضع على سريرته فتكفنه الناس يدعون له»... وقوله: «فلم يرعني إلا رجل أخذ بمنكبى فإذا هو علي، فترحم علي عمر» إلى آخر الحديث..". ويُعقب الأبي على هذه الواقعة قائلاً: (قول ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك) (ط) كانت

(64) إكمال إكمال المعلم 221/6

(65) ينظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني 457/1

(66) إكمال إكمال المعلم 351/6

الشيعة تنسب إلى علي أنه كان يبغض الخليفين وينسبهما إلى الجور في الإمامة. (ع) والحديث يرد عليهم ويكذبهم، بل المعلوم منه في حقهما ما دل عليه الحديث من محبته لهما واعترافه بفضلهما عليه وعلى غيره وثناؤه عليهما (67). ويوضح الأبي أن حضور علي وترحمه على عمر عند وفاته يعد شهادة منه بفضل عمر وفضل أبي بكر، وهو دليل ينقض دعاوى الشيعة في سوء اعتقاد علي بالخلفاء قبله، ويكذب ما ينسبونه لعلي من موقف سلبي.

المطلب الثالث: تأصيل خلافة أبي بكر الصديق: (إثبات الأبي لصحة الخلافة بالاعتماد على الإجماع والاختيار):

قال الأبي: " (م) اختلف فيمن هو أحق بالإمامة بعده صلى الله عليه وسلم، فقال أهل السنة: الصديق، ليس لأنه استخلفه أو نص عليه أو على غيره، بل لإجماع الصحابة عليه بعد أن وقع في الأمر اختلاف ووقع فيه تردد من طائفة، ثم استقر الأمر وانجزم الرأي عليه. وقال بكر بن أخت عبد الرحمن بن زيد: إنه نص عليه، ولا يصح؛ إذ لو نص عليه لما وقع اختلاف ولا تردد طائفة في بدء الأمر. (ع) ولطبت الأنصار أن تكون الخلافة فيهم ولا غيرهم من قريش ممن طلب ذلك؛ إذ لا يعدلون عما عهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يوهم أنه نص يأتي الكلام عليه. وقالت الشيعة: الأحق بالخلافة علي. وقالت الرواندية: العباس. وهذان القولان مبنيان على الترجيح بالقرابة. فمن رأى أنه العباس قال: لأنه المستحق للميراث فهو أولى، ومن رأى أنه علي قال: القرابة والصهر والعلم والشجاعة. وأنكر أهل السنة أن يكون مجرد القرابة يوجب الخلافة، وإنما يوجبها الحصول على مرتبة من الدين والعلم والشرائط المذكورة في كتاب الإمامة" (68).

ثم قال: " (ع) والحديث حجة لأهل السنة في أنه لم يستخلفه ولا نص عليه؛ إذ لم تذكر ذلك رواية، وإنما قالته بظنها. (ط) وسؤال الرجل إياها عن ذلك يدل على أن عدم النص مشهور عندهم. وادعى كل من الشيعة والرواندية النص على من زعم أنه أحق، وقد كذبوا؛ فقد أجمع الصحابة عند موته صلى الله عليه وسلم ووقع من الأمر ما تقدم، وحتى قال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. وقال عمر حين طعن وقيل له ألا تستخلف؟ فقال: إن تركتكم فقد ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، وذلك بمحض علي والعباس وملاء الأصحاب، ولم ينكر ذلك أحد على عمر، وهم لا يداهنون ولا يخافون في الله لومة لائم. ومن العجب أن لا يكون عند أحد من هؤلاء نص مع قرب العهد ووفور الدين وشدة الحاجة إليه، ويأتي بعدهم أزمنة متطاولة وأوقات مختلفة وقلة علم ممن يدعي أن عنده علماً بالنص على واحد معين، أن هذا الكذب المحض لا يقبله سليم عقل لولا التعصب" (69).

ثم قال: " (قوله ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) (ط) فيه حجة بينة لصحة إمامته وعظيم فضيلته عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وتقدمه على الجميع والإجماع، ولا حجة فيه للنص؛ لأنه إنما هم ولم يفعل. (ع) قوله: "ادع لي أبا بكر وإباك وأخالك" إلى قوله: "ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر" ليس نصاً في استخلافه، وإنما فيه أنه أراد الاستخلاف ولم ينص عليه، أترى أنه لم يكتب؟ والحاصل أن هذه الأحاديث ليست نصوصاً، وإنما هي ظواهر قوية، وإذا أضيف إليها ما في الشريعة مما يدل على هذا المعنى علم استحقاقها وانعقادها له ضرورة، ولقادح فيها يفسق ويختلف هل يكفر لهذه الظواهر والإجماع؟ قلت: لا يخفى عليك قوته حتى كأنه نص أو كالنص. ثم الظاهر أنهم لم يحضرهم هذا الحديث حين النظر في الاستخلاف وإلا فهو يرفع النزاع والنظر" (70).

مما تقدم يقرر الأبي يرى الإمام الأبي أن خلافة أبي بكر الصديق ثبتت بالإجماع والاختيار من الصحابة، وليس بنص صريح قاطع من النبي صلى الله عليه وسلم، الدليل على عدم وجود النص هو وقوع الاختلاف والتردد في بداية الأمر، وطلب الأنصار الخلافة لهم. وينتقد الأبي بشدة ادعاءات الشيعة والرواندية بوجود نص على علي أو العباس، معتبراً ذلك كذباً، كما يرفض مبدأ القرابة كشرط للإمامة. ويعتبر الأحاديث النبوية التي فيها تلميح لأبي بكر (مثل قوله: "ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر") ظواهر قوية تدل على استحقاقه وفضيلته. ويؤكد أن تولية أبي بكر كانت قائمة على إجماع الصحابة بعد النظر، وهو الأمر الذي لم ينكره كبارهم، بمن فيهم علي والعباس وعمر، مما يرفع النزاع ويؤكد صحة خلافته.

إن ما قرره الأبي رحمه الله هو عين مذهب أهل السنة والجماعة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد ذكره للخلاف الوارد في خلافة الصديق هل ثبتت بالنص الجلي، أو الخفي: (والتحقيق أن النبي صلى الله عليه وسلم دل المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدتهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له وعزم على أن يكتب بذلك عهداً ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك ... فلو كان التعيين مما يشتهه على الأمة لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بياناً قاطعاً للعذر ولكن لما دلهم دلائل متعددة على أن أبا بكر هو المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: (وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر) فخلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم له بها وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختياراً استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله وأنه أحقهم بهذا الأمر عند الله ورسوله فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعاً لكن النص دل على رضا الله ورسوله بها وأنها حق وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختارونها وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها لأنه حينئذ كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد، وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد ودلت النصوص على صوابهم فيما

(67) إكمال إكمال المعلم 200/6.

(68) إكمال إكمال المعلم 194/6.

(69) إكمال إكمال المعلم 195/6.

(70) إكمال إكمال المعلم 196/6.

فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك كان ذلك دليلاً على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة فإن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص" (71).

الخاتمة:

يمثل هذا البحث دراسة تحليلية لمنهج الإمام محمد بن خليفة الأبي المالكي (ت 828 هـ) في كتابه "إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم" في الرد على دعاوى الشيعة الإمامية، وهو ما يبرز جهود علماء المالكية في القرن الثامن الهجري في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة.

أبرز النتائج:

1. أثبت الإمام الأبي أن شروح الحديث، وخصوصاً صحيح مسلم، لم تكن مجرد دراسة فقهية أو لغوية، بل كانت حصناً عقائدياً يُستخدم فيه النص الصحيح لتثبيت الأصول وتفنيد البدع. وقدم الأبي نموذجاً للرد العلمي الذي يعتمد على الدراية والتحليل النقدي بدلاً من مجرد السرد.
2. نجح الأبي في استخدام شرحه لأحاديث صحيح مسلم لتأكيد أن الخلافة الراشدة لم تقم على نص أو وصية إلهية، وإنما قامت على الاختيار والإجماع، وهو ما يمثل لب عقيدة أهل السنة في الإمامة.
3. تميز منهج الأبي بإعادة توجيه النصوص التي تستدل بها الشيعة وبيان أن هذه النصوص، عند تحليلها وفق القواعد الشرعية واللغوية، تُعزز مذهب أهل السنة ولا تدعم مزاعم الإمامية.
4. أظهر البحث أن الأبي اعتمد على تراث المالكية في الرد، خصوصاً عبر نقل وتأييد أقوال شيوخ المذهب كالقاضي عياض، مما يدل على استمرارية جهد المدرسة المالكية في محاربة الغلو والتشيع.
5. أكد الأبي على أن دعاوى الشيعة في الغلو تُعد خطراً على أصل نقل الشريعة ذاته، وأن تكفيرهم للصحابية يؤدي إلى هدم الإسلام كمنظومة قائمة على النقل الموثق.

التوصيات والمقترحات:

بناءً على نتائج البحث، يُوصى بما يلي:

1. يجب على الباحثين في العقيدة إيلاء الاهتمام لشروح كتب السنة، مثل كتاب الأبي، باعتبارها منجماً ثرياً للردود العقديّة التي لا تقل أهمية عن كتب العقيدة المتخصصة.
 2. الحاجة إلى مزيد من الأبحاث التي تسلط الضوء على جهود علماء المالكية في الغرب الإسلامي في الرد على الفرق، لبيان الأثر العميق لهذه المدرسة في صيانة العقيدة السنية.
 3. العمل جمع الردود التي أوردها الأبي وغيره من شراح المالكية في مواجهة الفرق، وتجميعها في مصنفات خاصة للاستفادة منها.
- وفي الختام، نسأل الله أن يتقبل هذا الجهد، وأن يجعله مساهمة في إجلاء حقيقة الجهود العلمية التي بذلها علماء الأمة للحفاظ على نقاء الدين وعقيدة السلف الصالح.